

التبيان في تفسير القرآن

(231) أحدها - قال الرماني: إن الله يجد لهم جلودا غير الجلود التي احترقت وتعدم المحترقة على ظاهر القرآن من أنها غيرها، لأنها ليست بعض الانسان. قال قوم هذا لايجوز، لأنه يكون عذب من لا يستحق العذاب. قال الرماني: لا يؤدي إلى ذلك، لأن ما يزداد لا يألم، ولا هو بعض لما يألم، وإنما هو شيء يصل به الألم إلى المستحق له. وقال الجبائي: لايجوز أن يكون المراد أن يزداد جلدا على جلده، كلما نضجت لأنه لو كان كذلك لوجب أن يملأ جسد كل واحد من الكفار جهنم إذا أدام الله العقاب، لأنه كلما نضجت تلك الجلود زاد الله جلدا آخر، فلا بد أن ينتهي إلى ذلك. والجواب الثاني - اختاره البلخي والجبائي، والزجاج: أن الله تعالى يجددها بان يردها إلى الحالة التي كانت عليها غير محترقة، كما يقال جئني بغير ذلك الوجه وكذلك، إذا جعل قميصه قباء جاز إن يقال جاء بغير ذلك اللباس أو غير خاتمه فصاغه خاتما آخر جاز أن يقال هذا غير ذلك الخاتم، وهذا هو المعتمد عليه. والثالث - قال قوم: إن التبديل إنما هو للسراويل التي ذكرها الله في قوله: "سراويلهم من قطران" (1) فاما الجلود فلو عذبت ثم إوجدت، لكان فيه تفتير عنهم، وهذا بعيد، لأنه ترك للظاهر وعدول بالجلود إلى السراويل، ولانقول إن الله تعالى يعدم الجلود، بل على ما قلناه يجددها ويطريها بما يفعل فيها من المعاني التي تعود إلى حالتها، فاما من قال: إن الانسان غير هذه الجملة، وأنه هو المعذب، فقد تخلص من هذا السؤال. ويقوي ما قلناه أن أهل اللغة يقولون: أبدلت الشيء بالشيء إذا أزلت عينا بعين، كما قال الراجز: عزل الأمير بالأمير المبدل وبدلت - بالتشديد - إذا غيرت هيئة، والعين واحدة. يقولون: بدلت جتي قميصا: إذا جعلتها قميصا ذكره المغربي، وقال البلخي: ويحتمل وجها آخر وهو أن يخلق الله لهم جلدا آخر فوق جلودهم، فاذا احترق التحناني أعاده الله. (1) سورة ابراهيم: آية